(٣) دراسة فى أسلوب طه حسين

ليس من اليسير أن ندرس أسلوب طه حسين فى هذه السطور القليلة ، ففى ظنى أن أسلوبه هو أروع ما فى حياته الأدبية كلها ، فقد يختلف الباحثون حول آرائه فى الأدب والنقد والحياة ، ولكنهم لن يختلفوا فى أنه واحد من أبرع من كتب العربية فى تاريخها الأدبى الطويل ، فسر عبقريته الأدبية التى تحتاج إلى دراسات كثيرة تكشف عنها إنما يكمن أساساً فى أسلوبه المتميز الذى لاتكاد تخطئه بين الأساليب الأدبية المختلفة سواء منها ما عرفه عصره ، أو ما عرفته العصور السابقه له ، فهو أسلوب تكمن فى أعماقه قوة سحرية خارقة للعادة تشدنا إليها شدا فلا نملك منها خلاصا أو فكاكا ، ونحن لا نكاد نمضى فى قراءته حتى نحس أنه أخذ يستولى على مشاعرنا ، ويسيطر على أحاسيسنا ، ويستأثر بكل عواطفنا . وحقا لقد وضع الفن بين يدى الأديب العبقرى مقاليد كنوزه ، ومفاتيح أسراره ، ومنحه طاقة فنية ضخمة وقدرة أدبية فائقة على التعبير والتصوير ، ووهبه تلك الطلاقة الفطرية التى يتدفق الكلام معها كما يتدفق النبع الثر بالماء العذب الصافى فوق أرض سهلة لا حواجز فيها ولا سدود .

وقد تضافرت عوامل كثيرة خلف أسلوب طه حسين حتى أكسبته هذه القوة السحرية ، الكامنة فى أعماقه، وطبعته بهذا الطابع المتميز الذى لا تكاد تخطئه ، ومن الممكن أن نتبين بوضوح من بين هذه العوامل الكثيرة ثلاثة عوامل أساسية كان لها أكبر الأثر فيه ، أو - بعبارة أخرى - ثلاثة روافد كانت تمد هذا النبع الفطرى بمزيد من الماء المتدفق. وأول هذه الروافد - بطبيعة الحال - الرافد العربى الذى اتصل به منذ صدر شبابه ، وظل على صلة وثيقة به حتى نهاية حياته : القرآن الكريم الذى حفظه منذ طفولته المبكرة حتى كان يعده أبوه